

وقد توفي في بغداد سنة ١٢٢٣ هـ = ١٨٠٨ م ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي وقد اعتقب اربعة اولاد وهم الملا حسين والملا علي والملا عبد الله والملا اسعد .
كاظم الدجيلي

التشوه والتزيين عند الحيوانات

Masques et Oripeaux chez les Animaux.

ليس الوفاق الغريب الموجود بين الحي و بين ما يجاوره على ما مر بنا سابقاً الاقطرة من بحر تبدل الحيوان وتكرز به لينوارى عن البصر ويرهب عدوه ويظفر بنجاته، بل هناك امر آخر، وهو انه يتزين ويتزخرف ويلبس لكل حالة لبوسها بموجب مقتضى الحال . خذ مثلاً لذلك المتعفرة (١) وهي الدويبة المسماة بالفرنسية (réduve)، فانها تخرج بالتراب والقمامة وتسدل على وجهها نقاباً درنا حتى يظن الناظر اليها انها رتيلاء هائلة، لانها تماثلها بكل حركاتها وسكناتها وسيرها المضطرب . ويحذو هذا الحذو السرطان المعروف برتيلاء البحر . فانه اذا اراد ان يخفي اثره على سمك اللما خصوصاً والاسماك النهمة عموماً يفرس اصول الفوقس (٢) (algue) على صدفه ولا تعتم ان تنمو تلك الاصول حتى تصبح رويداً رويداً كالجزء المنشفة فيتسنى له حينئذ ان يختلط بالصخور المغطاة بمثل ذلك النبات .

وبين الحيوانات التي تحوز قصبات السبق في حلبة التغير والتبدل

(١) المتعفرة اسم هذه الدويبة التي تنفر بالتراب وقد اطلقنا هذا الاسم عليها كما اطلقه الافرنج من باب تسمية الشيء باسم عمله هذا فضلاً عن انه لمن باب التحريب المعنوي . (لغة العرب) (٢) الفوقس وردت بصورة الفوقس في ابن البيطار وهو غلط لان الكلمة يونانية الاصل وهي فيها فوقس Phucos بالقامع بالالف (لغة العرب)

والشكر السمك الفوقسي poisson-algue والاريان والقريدس الفوقسي Crevette-algue فانهما يعيشان بين الكلا البحري المعروف بالفوقس وذلك انها تتعكك ان به فيلصق منه شي كثير بها حتى يضيهاها والنبات شيئاً واحداً واذا اخذ الانسان بيده واحدة من هذه الاسماك يعسر عليه ان يعرف اين يندى الفوقس واين ينتهي الحيوان كيف لا وقد اصبح جسمه خفيفاً ضامراً وفيه زوائد طويلة تحاكي الاوراق .

لا يحق لنا ان نكره هذه الحيوانات التي تحاول الشكر والبذل دفاعاً عن نفسها، ولكن تسوؤنا روية مثل هذا العمل في غيرها، اذ ترمي الى غرض بموت عند تسترها، وهو انها لا تفعل ذلك الا للهم على طريقتها وتباغتها فتخرجها حينئذ كاس الردى حتى نثالثها، ولهذا اتخذ المكر والخداع وسيلة للبلوغ الى ما رجاها السيئة، فتزمل برداء لا يستشف منه فساد غريزتها، فتتساب بين اعدائها كالجاسوس الخوون ولا تخشى طارفاً يدهما اذا صارت بين خصومها، ومن هذا القبيل ذبابة الورد (volucelle) وكان الاجدر ان تسمى «رعب الخلايا» فانها تشبه بصورتها وشكلها الصقيع وهو نوع من الزناير اسمه بالافرنجية «frelon» او تشبه الزنبور «guêpe» او السرمان «bourdon» فتدخل مساكن الزناير وخلايا النحل خلسة ولو كان خفها قائماً على الباب وقد حفظ مدخله ومخرجه، فنيض هناك راحة البال لا خوف عليها من انتهاك سرها لكن لا يبطى ان يخرج من بيضها طوائف من الدعاميص كانتا عساكر جرارة شاككة السلاح فتاتي الموت حوالها .

٢ : الجبان يدعى الشجاعة

ان حب الحياة يسوق غالباً بعض الخشاش اى الحيوانات غير المؤذية الى تقليد هيئة واخلاق الحيوانات الكثيرة الاذى والضرر. ومن درس اخلاقها، لعجب من تظاهرها بامارات الشجاعة، مع ان غريزتها على جانب عظيم من الضعف والجبن. ويرى هذا المشاهد يومياً في الطبيعة، من ذلك الدويبة المعروفة بالزباء الجاسية «١» وبالافرنجية (éristale tenace) . فهي تين لأول نظرة هائلة ويلتبس امرها على الناظر بغيرها لتخافة خصرها ولون زيبها المشرب شقرة ولسمرة حلقاتها فاذا قبضت عليها فانها لاتؤذيك ومن اجناس هذه الحيوانات الفراشة النحلة المسماة بالافرنجية (sésie frelon) او apiforme فهي توجد عادة على اشجار الخور، في شهر حزيران. ومن يراها يحكم وحيّاً انها زنبور كبير موز، فان جسمها منخطط بخطوط صفراء ذهبية، واجنتها نحاسية اللون، لكنها لاتضر ضرر النحل والصقيع .

وكثيراً ما يتخذ الانسان بطواهر بعض الحيات فلا يميز السامة منها من غير السامة ويصعب عليه ان يفرق بين الحفث والافعى ولو كان يعرف بعض الظواهر التي تمتاز بها لانها على جانب عظيم من الدهاء . وقد عرف ذلك الاقدمون فقال السيد المسيح حية النزيل العزيز «كونوا حكماً كالحيات» .

(١) الزباء مؤنث الازب وهو ذو الزب اى الزغب والشعر الناعم . وقد اطلقنا هذا الاسم على هذه الدويبة وهي التي لها جناحان متباعدان عند سكون حركتها . ويشق جسمها زغب ناعم . ولدها بعض ذب طويل دقيق عليها نديبات هي متفتحاتها وهي تكون في المراحض وحاة البواليح والمستنقعات والقدراة . (لغة العرب)

ومن الذين خدعوا بتلك الظواهر أحد المعلمين وكان يدرس في دار التحف بباريس اخلاق الزحافات فانه قبض ذات يوم على حية صغيرة ظاناً انها غير مؤذية ولكن ساء ظنه إذ وجدها افعى سامة في ممتهى الحبس وكادت ترديه لولم تنكره الا نكزة خفيفة .

ان الحيوانات غير المؤذية من هذا النوع متى شعرت بدنو الخطر تنصب وتتظاهر بانها تريد لسع عدوها فيولي الادبار . وقد عرف العرب ذلك وورد ذكره في كتبهم اللغوية في تعريف الحفث وهي حية عظيمة تنفخ ولا تؤذي وقد جاء في كتاب فقه اللغة عن كل من العربد والعسود انه حية تنفخ ولا تؤذي . وقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان تفصيل ما تفعله هذه الانواع من الحيات فليراجع في محله .

٢ : الدويبات تشكل بأشكال الاوراد

لندخلن الآن عالماً جديداً فيه المحشرة المنزلّة الاولى من الشان والخطورة ان الاحياء هنا لا تحاول هذه المرة ان تشبه بالاحياء او بالحجاد كائنات ما كان تشبهاً قريباً او بعيداً للذب عن نفسها كما رأينا فويق هذا بل تأخذ صورة بعضها اخذاً محكماً بالغاً حد الاثقان ليس وراءه مزيد لمستزيد .

ان الدويبات والنباتات متكافلة بعضها لبعض في القوت . فالزهرة تفيد الذبابة برحاقها وبكونها تنفخها كئلاً لها . والذبابة تفيد الزهرة بتلقيحها بما يخرج منها من الذرق وبما يعلق بارجلها او باجنحتها من اللقاح . واذا اراد الطائر ان يظفر بالدويبة فانه لا يتجشم مشاق البعث والتفئش عنها بل يذهب نواً الى النباتات وهناك يسطو على طريدته فاذا ارادت ان تنجو منه تغتفي

وتتنكر ولهذا نراها تبالغ في التشبه بالنبات الذي تسقط عليه فتماثل ثارة
لحاء وطوراً ورقة ومرة غصناً وأخرى ثمرة .

فالطائر لا يميز الفراشة المسماة بالمنسقة او المنقوبة العروس « ١ »
« lichénée mariée » التي هي فراشة كبيرة تظهر في الفسق وتحط على
الحور ساكنة لا تبدي حراكاً وليس فيها ما يكشفها للعيان اذ ان لونها اقم
او اسمر وفيها بقع وخطوط وعقد تجعلها كقطعة منفصلة من القشرة او
كقشرة منقوبة وكذلك نقول عن الدويبة المسماة الخجندب الشائك « ٢ »
membrace épineux التي اذا سقطت على غصن من الاغصان يحسبها
الناظر اليها قطعة شوك ليس الا .

ان عدداً من الديدان مثل ديدان الصفصاف والسندر والخنان
والزيزفون وشجرة الكينا تبقى ساعات طوالاً متشبثة بالاشجار ببعض
جسمها وترخي ما بقي منه منتشراً ممثلاً جامداً اتم الجلود الامر الذي لا يقوم
به اشهر جبابرة زماننا وما يساعدنا على اختلاطها بالاغصان سمرة جسمها
وانتشار العقد فيه .

(١) المنسقة مشتقة من الحق فلان : اذا دخل في الفسق . وهذه الدويبة لا تظهر
الا عند الفسق . ومن ذلك اسمها . ونسمى ايضاً بالمنقوبة (بتشديد الواو المكسورة)
لان الناظر اليها يرى كأن ظهرها منقشر وهي مشتقة من نقوب من راسه مواضع اى
تقشر ومن ذلك اسمها بلغة العلم ولذا جازينا اصحابها في وضع هذه اللفظة (لغة العرب)
(٢) الخجندب دويبة من رتبة الصفيحة الاجنحة المتشابهة ، من فصيلة الصراصير ،
قرناها مغرزان تحت كفاف الجبهة ، ومفصلاها الاولان قصيران ، ومقدم صدرها ذو
طبقات كالورق وبارز كل البؤز ومدغم ويكاد يمتد الى طرف الجسم . ويواظمها
الامامية مودقة والحلقية مبننة في مشارفها ولها جبهة طويلة ومستديرة في الاخر
كانها مفصولة عن الرأس ، وصدرها ذو طبقات كالورق وهو اعلى بكثير من بقية
جسمها . (لغة العرب)

وهناك نوع آخر من الدوبيات الغربية تسمى الحشرات الخبالبة « ١ »
 « phasmes » فانها لاتبين الا كجزء مفصول من الشوك الذي تستقر عليه
 ولا يرى منها اجنحة ولا ارجل وغاية ما يظهر منها شيء كالقضيبي فيه اشواك .
 إن الدوبية المعروفة بالورقة اليابسة « phyllic-feuille-sèche » تحول
 تمام التحول الى ورقة يابسة بحيث انه لا يمكن تمييزها منها حتى اذا ادركها
 الجوع نقرض اجنحة بعضها كما نقرض الورقة الحقيقية وهي لاتعلم ما تعمل
 وموطن هذه الدوبية جزائر اوقيانيا .

هذا وفي الهند وما ليزيا نوع من الدوبيات تسمى كلمية « kallima » وهي
 بهيئة فراشة كبيرة جميلة المنظر تراها اذا صفت تتلون بلون نارنجي وازرق
 واذا ادركها الليل وحطت على الشوك تعيب عن الابصار كأنها تتعاطى
 السحر او تلبس قبع الاخفاء فنبأغت الانسان الدهشة من تلك الحالة ولا
 يدري اين يتجسس اخبار تلك الفراشة الزاهية ولا في اي موطن يقف لها
 على اثر ؟ اذ انها عند سقوطها على الشوك تاخذ صورة ورقة اعترها الذبول
 وتتعلق بالاشواك ويظهر فيها ثقبان كالثقبين التي تحملها الحشرات
 في الاوراق .

فسبحان من خلق الطبيعة هذا الخلق البديع اذ جعلها تتفنن في تمثيل
 ذاتها لظهور ما فيها من حكمة الوضع فانها تتخذ من مواد مختلفة صورتين

(١) الحشرة الخبالبة او الخيال وكذلك اسمها في لغة العلم هي جنس من الحشرات
 من رتبة المنقبضة الاجنحة من فصيلة الرواكض وهي ام قبيلة الخبالبات او الطيفيات
 اجنحتها طويلة وقرونها شعرية اطول من جسمها والخيالات كثيرة الوجود في اميركا
 الجنوبية وبلاد الهند الشرقية وهي ذات محاكاة غريبة للكائنات التي تجاورها .

متماثلين لا تميز أحداها عن اختها قيد حبة وما غرضها من ذلك المحافظة
حشرة صغيرة .

فيا هل ترى والحالة هذه يجوز لنا ان نلفظ كلمة عرض او اتفاق عند
مشاهدة هذه الخراب؟ الا تظهر العناية الالهية فوق كل هذه العجائب تلك
العناية التي ترعى مصلحة احقر الكائنات وحفظ اصغر الموجودات؟ اليس
هذه هي العناية الالهية التي قال عنها السيد المسيح في انجيله الكريم :
انظروا الى طيور السماء فانها لا تزرع ولا تحصد ولا تحزن في الالهراء وابوكم
السمائي يقوتها واعتدوا زنايق الحقل كيف تنمو انها لا تعب ولا
تنزل وانا اقبل لكم ان سليمان في كل مجده لم يلبس كواحدة منها « متى
٢٦: ٢٩ » ؟

(لغة العرب) اننا ادرجنا هذه المقالة لا لانتا سلم بهذه الزاعم الواهنة الواهية
بل لنبين ان مذهب التحول معروف في هذه الديار كما هو معروف في غيرها وقد انتشر
بما ابرزته مطابع ديار الشام ومصر من الجرائد والمجلات والرسائل والكتب وغيرها
من المطبوعات . على ان هذا المذهب يتداعى اليوم في ديار الافرنج لقلة صبره على نار
التحقيق ، اذ لم يرج عندهم الا بقدر ما يروج الدرهم الزيف عند من لا يعرف صحته
وحقيقته ، ولم يحكم بالحكم ولم يرضه على نار الامتحان .

ان هذا الرأي اى ان الحيوانات والنباتات تقلد للطبيعة بظواهرها فتندرج في كل
موطن بما يكفيها شر او اذية اعدائها هو من الاعيب الخيال والوهم ، لامن حقائق العلم
المقررة . — ثم ان اصحاب مذهب التحول يقومون لهذه النظرية ويقعدون لها ويسمون
في اصطلاحهم « محاكاة الطبيعة Mimétisme » لكن العلماء الانيات اصحاب النقد
الصادق والخبرة الثامنة أثبتوا كذب هذا الوهم والتصور . لانا ان سلما مثلا ان ارانب
الديار الباردة المنقطعة بالنلوج تكتسى بجلود بيضاء الشعر لمشايتها لون الثلج لكي لا
يمررها السائد من الثلج بخلاف لو كان لونها ارمدا مثلا ، فهل يظن اول من تصور هذا
الفكر ان الصياد وجده يقتل الارانب ، وليس هناك عوامل اخرى تفتي بعض الحيوانات
والنباتات ، والا كيف انقرضت بعض هذه الكائنات ولم يكن هناك ما تصور لها اليوم
من الاعداء . دع عنك وجود مخلوقات في الاقطار التي يتربا فيها بعض كائناتها بزي

الطبیعة وهي لا تجار بها بما كاتها اياها . وان وجد عشرة كائنات نترى بزي ما يجاورها فان هناك مئات تحالفها لونها وشكلا وصورة . وحسبك دليلا على ذلك ان تعد نظرك الى صرآة اوالى صاحبة ترى كذب هذا المقال .

ثم ان ما قيل في هذا الرأي هو مجرد تحكم خيال القائل الاول والا فانتصرو ان اعداء هذه المخلوقات تنظر الى قريبتها كما تنظر نحن اليها ، وتوهم فيها الوهم الذي توهمه فيها ؟ — تنسب الى الحيوان والنبات حاجات وشواعر لا بل مشاعر وحواس بصرية كآنها اناس مثلنا الا انها بصورة مختلفة عن صورتنا ، فتأشدهك الله يا هذا هل ان كلاب الهلاد الباردة وشالها وذئبها تنظر الى تلك الارانب البين التي ينظرها بها هذا المفكر . فلو كان كذلك لجاعت وماتت وانقرضت . فالظاهر اذا ان هذا التنكر لا يرددها من طلب مبيتها ، ولا يصددها عن مطاردة طريقها . — هذا فضلا عن ان الاحياء الدنيا وجرأيم الامراض الطفيلية لا تحيل كل هذه الامور وتجرى في اعينها بدون ان تلفت الى صحة هذه التحيلات او كذبا .

وعلى هذه السنة التي ذكرناها عن الحيوان في هؤلاء المتخيلون سنقوم في النباتات ايضا . فانهم ذهبوا الى ان وجود بعض الاشواك والسلاخ في طائفة من الاشجار كالاعضاء والرم والاسل والمرقح والفتاد والفرصة هو لوقايتها من اكل الحيوانات اياها . ياسبحان الله فان كان الامر كذلك فلماذا الاغصان العالية اغصان تلك الاشجار التي لاتأكلها الدواب لاتنبت بدون سلام . ولماذا لا ينبت سلام لساير انواع النباتات التي تنبت لها الماشية وترعاها حتى لايبعد ولا تنقرض . فن ثم يتضح ان النبات ليس بانسان ولا كالانسان اذ لا يمكنه ان يتصرف بالامور على ما يشاء .

ان الباحثين من اهل الخبرة والتجربة قد اتجوا ان الجو الذي يكثر فيه الماء يزيل السلام والاشواك ويحيها اوراقا والجو الذي يقل فيه الماشية او لا رطوبة كافية في ارضه تنبت تلك الاشواك وتحميل اوراق الاشجار سلام . وعليه تكون اليبوسة سببا لتكوين الانسجة الليفية . ومن هذه نشأ الاشواك والسلاخ ليس الا . فنشوهها اذا تقاومة السائمة امر عبت لاحقيقة له . هذا وهل حقيقة . فحاف السائمة تلك الاشواك . فاننا نرى الجال نأكل الماقول وانواع الاشواك وتستطيعها وتدمر شأها بل اذا وجد يمازها ايتها غير شائكة فاتها فضل تلك على هذه . فما جواب اصحاب مذهب النحول على هذا الاعتراض . هذا فضلا عن ان انواع الدود تنفذ الى قلب الزهرة وتاكل الحبة او البزرة فتتلف وحدها من حبوب الاشجار وبزورها مالا تنلغه الدابة عند اكلها الورق . فما عسى ان يكون ذلك السلاح الذي تعده تلك الشجرة لتفارق به تلك الدودة . فهل السلام ينمها عن العيب ؟

يشبه اصحاب هذا المذهب رجلا رأى ثياب اهل البلاد الحارة واسعة الاكمام والاردن والاذيال

منفرجة الاسفل ثم شاهد ثياب اهل البلاد المعتلة متوسطة بين البسة والضيقة وثبت ان اهل البلاد الباردة لا يلبسون الا الثياب الضيقة التي لا ينفذها الهواء . فقال في نفسه : ان التوب رأى ان لابس في البلاد الحارة يحتاج الى الهواء . فانسع ، ثم رأى ان صاحبه لا يحتاج الى ذلك بالقدر المذكور في البلاد المعتلة فضايق قليلاً . ثم رأى ان البرد يقرس الرجل اذا كان عليه ثياب فضفاضة فضايق وتجمع حتى لا يسبب صاحبه البرد . وعلى هذا تبين ذكاء التوب اذ طابق حاله دائماً لحالة البيئة التي وجد فيها . قلنا : ومن لا يرى سقم هذا الاستدلال ؟ أفلو عكس الاستدلال هذا التبعير اما كان القرب الى الصواب . أفليس صاحب التوب هو الذي رأى مناسبة قطعه على تلك الصور الثلاث المختلفة تطبيقاً لها على مقتضيات اختلاف حالة الجو ؟ فليتأمل العاقل ولينصف في قوله .

وصف مدافن البحرين وصفاً مفصلاً

Description de la Nécropole de Bahreïn.

كل مدفن يشتمل على غرفتين كبيرتين الواحدة فوق الاخرى مبنية من قطع صخر ضخمة ولا يمدد انها قد قطعت «من جبل الدخان» الواقع في صحراء بيضاء ويوجد فيها ايضاً على جوانبها غرف وممار مسيجة بطين على غاية الاتقان ولا يوجد عقود اودعائم ويظهر ان الغرف قد بنيت قبل ان بنى سائر ما يحيط بها من البناء . وهذا البناء محكم بحصص وله طبقات مرصوفة من التراب وصفار الحجارة وكأن هذه المدافن قد اقيمت لمقاومة الدهر وسد افاته فمحيط اساس اكبر التلال نحو خمسين ذراعاً وقد عثر القائد دورند على هيكل بشري في الغرف السفلى طوله نحو تسع اقدام صغير الجمجمة منخفض الجبين واسع حرف حجاج العين (الحجر) وعندما عرضت الجمجمة للنور والهواء تكسرت كسراً عديدة . ان رؤيته بعض عظام الهياكل تدل على ان اصحابها دفنوا وهم جلوس ويظهر لنا انهم كانوا من وجوه الامة وسراة القوم وكان دفنهم يجري على خلاف ما كانت تدفن العامة على حد ما هو جارٍ اليوم عندما في دفن البطارقة والمطارنة والملانة والاساقفة وسائر الرؤساء الروحانيين بيد ان ذلك يحتاج الى بحث دقيق وفحص كثير وقد اكتشف حديثاً في المنعطفات